مقتل مريم الحاوي

القطعة الأخيرة

info@darak-egy.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

مقتل مريم الحاوي

اسم المؤلف: إنجي هديب

تصميم الغلاف: أسامة علام

تدقيق لغوي: هالة محمد

رقم الإيداع: 2022/2231

الترقيم الدولي: 978-977-8654-33-2

الطبعة الأولى: 2023

إنجي هديب

مقتل مريم الحاوي

القطعة الأخيرة

رواية

دارك
للنشر والتوزيع

إهداء

مجموعـة الدعـم.. كلنـا بنحتـاج الـلي يدعمنـا.. يقبلنـا زي مـا إحنـا بالظبـط مـن غـير رتـوش.. مـكان نسـتقر فيـه مـن غـير لـوم أو شـعور بالذنـب.. أنـا النهـارده بهـدي الروايـة دي.. لمجموعـة الدعـم بتاعتـي ..Reach out Egypt المـكان الـلي اتعلمـت فيـه أسرار النفـس وخبايـا أفعـال النـاس.. مؤسسـة المـكان «مشـيرة ممـدوح».. وحبيبتـي وأختـي «أمـل محمـد صـلاح». .ومعلمـي وملهمـي وأخويـا «عمـرو مهـران»..

شكرًا..

الشرفة

(يوم الحادث)

«بابا...بابا... مريومة طلعت في البلكونة تلعب يوجا تاني!»

رفع طارق عينيه عن هاتفه المحمول ونظر حوله بترقب، ليتأكد أن زوجته، لم تسمع مودي ابنه يتحدث عن جارتهم الجميلة مريم، التي يتعمد - بلا شك- أن يجلس في الشرفة يحتسي فنجان القهوة وهو يخفي عينيه بنظارته الشمسية باهظة الثمن حتى يختلس النظر إليها، إنها فاتنة البناية المقابلة له، تقف كل يوم في السادسة مساء، قبل أن تغيب الشمس بقليل، بجسدها الممشوق، لتمارس رياضة اليوجا في شرفتها الممتلئة بالزهور مختلفة الألوان.

كان يراقبها عادة ويهيم شاردًا في تفاصيل جسدها الذي ينثني ببراعة، وتأتيه من بعيد أنغام الموسيقى التي تسمعها وهي تتخذ أوضاع اليوجا الشهيرة. بدت مريم بلا شك لطارق غامضة، مثيرة، تبتسم بثقة وتنحني لتضع قطعًا من أحجية تلعب بها بشكل شِبه يومي في شرفتها، لم تبدُ له أبدًا فتاة سهلة المنال على الرغم من توافد الزوار على شقتها فهي لم تسدل ستائرها أبدًا، بل كان يشعر في بعض الأحيان أنها تنظر لعينه

متيقنة أنه يراقبها بتحدٍّ.. انظر.. تلصص .. فأنا لا أبالي بعيون الناس أو ظنونهم.

«قاعد تبحلق في الست مريم طبعًا! يا بني مش هتبطل دناوة بقى؟!»

انتفض طارق لكلمات زوجته، ريهام، وقد وقعت بضع قطرات القهوة الساخنة على بنطاله، فانتفض وهو يسب ويلعن، وينظر بغيظ إلى زوجته التي كانت تقف وراءه، وقد علت شفتيها ابتسامة سخرية.

- خليتي القهوة تندلق عليًّا! أبص إيه بس يا مخبولة؟! أنا بشرب قهوتي زي كل يوم في الهوا.. بشم هوا.. ما أشمش هوا يعني؟!

- لأ يا حبيبي، شِم هوا براحتك بس حاسب بس يجيلك برد، تعالى يا مودي نسيب بابا يشم هوا براحته.

وقف مودي يلوح لمريم التي دائمًا ما تلاعبه كلما رأته وتأتيه بالسكاكر إذا قابلته صدفة في مدخل البناية، بادلته الأخيرة الابتسام ولوحت له، ثم انسحبت إلى داخل شقتها، ووقفت لثوانٍ تنظر لثلاثتهم، ثم أسدلت ستائر شرفتها ليتنهد طارق وكأنه يودّع محبوبته، في حين نظرت له زوجته شزرًا، كادت أن تتشاجر معه لتضع نهاية لجلسته المستفزة، إلا أن صوت انفجار رهيب، مع سطوع إضاءة قوية جعلها تستدير لتنظر، وقد احتضنت مودي الذي هرع إلى حضنها فزعًا من الصوت.

فعلى مرأى ومسمع من ريهام وطارق، كانت شقة مريم تحترق، وزجاج شرفتها قد انفجر وتناثر في كل مكان، والمارة بالأسفل، يحاولون

تفـادي الشـظايا، وينظـرون إلى أعـلى بقلـق، تكـدَّس السـكان عنـد مدخـل البنايـة وتسـاءل الجميـع بخـوف حقيقـي هـل سيطول الحريـق بقيـة البنايـة؟

«كلِّم المطافي يا طارق! المطافي والإسعاف بسرعة»

صرخـت ريهـام وهـي تعلـم أنـه لا داعـي للإسـعاف؛ فقـد تفحّمـت شـقة مريـم تمامًـا، وانتهـت جلسـة طـارق المفضلـة كـما أرادت، لكـن بنهايـة حتـى هـي لم تتمنَهـا أبـدًا لمريـم!!

لــــيــلـــــى

(بعد شهر من حادثة مريم)

قامت ليلى بالتقاط حقيبتها الوردية من فوق سير الحقائب في مطار القاهرة، ثم عدّلت وضع حقيبة الظهر التي تحملها. كانت ترتدي تي شيرت أسود اللون مع بنطال جينز بنفس اللون، وقد غطت عينيها المتورمتين بنظارتها الشمسية الكبيرة، وجمعت شعرها الأسود الناعم لأعلى في وضع ذيل الحصان الشهير.

بدت ألمانية بملامحها التي اقتربت بشدة من ملامح ركاب طائرة ألمانيا التي وصلت بها إلى القاهرة. كم مضى عليها من سنوات وهي تقطن إحدى بنايات برلين الحديثة؟ أكثر من عشر سنوات كاملة، أصبحت تتحدث اللغة الألمانية بإتقان، ومنحتها بشرتها البيضاء وعينيها التي تميل إلى اللون الأزرق طابعًا أوروبيًّا لا تخطئه عين.

وقفت أمام موظف الجوازات ممسكة بجواز سفرها الألماني فمرت في ثوانٍ، لم يخطر بعقله أصلًا أنها مصرية.

- ليلى...ليلى.

رفعت نظارتها وعلى وجهها ابتسامة، وهي تنظر إلى مازن الذي وقف خلف باب صالة الجوازات في انتظارها. احتضنته ما إن وصلت إليه،

ورغـمًا عنها انسـابت الدمـوع مـن عينيهـا بغـزارة فضمَّهـا بشـدة إلى صـدره غـير عابـئ بنظـرات رواد الصالـة المتطفلـة.

- البقيـة في حياتِـك. أنـا آسـف أوي يـا ليـلى، مـا كنتـش أحـب نتقابـل في الظـروف دي أبـدًا.

- لسه مش مصدقة إنها مش واقفة هنا تستناني.

- اللـه يرحمهـا مـا كانـش فيـه صديقـة زيهـا أبـدًا، أنـا حاسـس بيـكي، مـا حـدش أصـلًا لسـه مصـدق إنهـا ماتـت، وكـمان بالطريقـة البشـعة دي.

قادها مازن إلى سيارته، وهو يتحدث عن مريم بنفس التعاطف.

مريـم وليـلى صديقتـاه منـذ الكليـة، تخـرج ثلاثتهـم مـن كليـة الهندسـة منـذ أكـثر مـن سـبعة عـشر عامًـا.

هـما صديقتـان منـذ أيـام المدرسـة، تعرفتـا عليـه في الجامعة، ثـم توطدت علاقتهـما بـه بشـدة في مـشروع التخـرج، كان صديقًـا عزيـزًا لهـما، وعـلى الرغم مـن أن ليـلى قـد اسـتقرت في ألمانيـا منـذ أكثر مـن عـشر سـنوات، إلا أن علاقتها بـه وبمريـم لم تتأثـر عـلى الإطـلاق. وبالأخـص بمريـم؛ فقـد كانتـا تتحدثـان كل يـوم تقريبًـا، وكثـيراً مـا سـافرت مريـم إلى ليـلى وبقيـت معهـا في شـقتها، وكثـيراً مـا تقابلتـا في إحـدى الـدول الأوروبيـة ليقضيـا الإجـازة سـويًّا.

ظـلَّ مـازن مقربًـا لهـما عـلى الرغـم مـن زواجـه بأخـرى؛ في حين بقيـت كلٌّ منهـما عـلى موقفهـا الحـذِر مـن الرجـال؛ فاسـتمر يـزور مريـم كثـيراً، ويتحدث مـع الأخـرى عـلى فـتراتٍ متباعـدة، إلا أن مـوت مريـم بهـذه الطريقـة البشـعة جعـل ليـلى تطلـب منـه المسـاعدة لتحـضر وتسـتقر بعـض الوقـت في مـصر مـرة أخـرى.

لم يفهـم لمـاذا تريـد ليـلى ذلـك؟ بـل حـاول أن يثنيهـا عـن قرارهـا؛ فهـو

يعلـم مـدى ارتباطهـما، ويعلـم أن وجودهـا بالقـرب مـن أماكـن الذكريـات التـي جمعتهـا بمريـم سـيكون شـاقًّا عليهـا للغايـة.

- لسه مش عاوزه تقوليلي سبب إصرارك على النزول بالسرعة دي؟

- إنت أجّرت لي شقة في نفس العمارة بتاعة مريم ولا لأ؟

- أجـرت لـك فيهـا واللـه يـا سـتي، وعملـت لـك كل الـلي طلبتيـه، بـس عـاوز أفهـم، وبصراحـة خايـف عليـكي.

نظـرت لـه بنظـرة امتنـان وابتسـمت ابتسـامة حزينـة وهـي تفكـر: «مـا زال الرجـال يعتقـدون أن المـرأة تحتـاج إلى حمايتهـم؛ فـمازن يخـاف عليهـا من مجهـول هـو نفسـه لا يعرفـه». لقـد أصبحـت امـرأة عصريـة، مسـتقلة بشـكل جبـار، وإن اختلـف ذلـك مـع طباعهـا عندمـا كانـت صغيرة السـن.

مريـم كانـت مختلفـة عـن ليـلى أيضًـا؛ فهـي وإن كانـت عصريـة مسـتقلة كمعظـم فتيـات وسـيدات هـذا الجيـل، إلا أنهـا متسرعـة مندفعـة تقودهـا في معظـم الأحيـان مشـاعرها المتخبطـة، كثـيراً مـا بـدت مريـم رقيقـة هشـة تحتـاج إلى حمايـة فعـلًا، ولهـذا ليـلى هنـا لتقـوم بدورهـا نحوهـا للمـرة الأخيرة وتحميهـا كعادتهـا، وهـذه المـرة سـتحمي حقهـا في الانتقـام مـن قاتلهـا.

كانـت القضيـة قـد قُيِّـدت ضـد مجهـول عـلى الرغـم مـن أن الأدلـة أكـدت أن الانفجـار قـد حـدث بفعـل فاعـل، لكـن لم يعـرف أحـد مَـن فعلهـا ولمـاذا؟! فقـد كانـت مريـم مهندسـة هادئـة لطيفـة الـكل يعشـقها لم تتـورط في أي شيء في حياتهـا مـن قبـل، فلـماذا تُقتـل بهـذا الشـكل؟!

لا توجـد أي خيـوط أو أسـباب منطقيـة، ببسـاطة أُغلقـت القضيـة في أقـل مـن شـهر تقريبًـا! مختـل قتلهـا بـلا سـبب وانتهـى الأمـر، أمـا ليـلى فتعلـم أن

صديقتها كانت خائفة، تنتظر قتلها قبل أن تُقتل، فالأمر بالتأكيد بفعل فاعل تعرفه مريم.

- ما تشغلش بالك بيا يا مازن، قول لي صحيح أخبار مراتك وأولادك إيه؟

تنهد مازن فهو يعرف ليلى جيدًا؛ لن يخرج منها بمعلومة إلا برغبتها، فهي قليلة الكلام، متحفظة، تبدو باردة في مشاعرها دائمًا، كم يفتقد مريم اللطيفة المتحدثة المبتسمة! غير أنه تناسى جثتها المتفحمة التي لم يتبقَّ منها غير أسنانها. هز رأسه لتُمحى هذه الصورة من عقله وبدأ يتحدث عن زوجته وأولاده وصعوبة الحياة في مصر، والتحديات التي تواجهه هو وكل أبناء الطبقة المتوسطة التي كادت أن تتلاشى في السنوات الأخيرة.

تظاهرت ليلى بأنها تستمع إليه بينما هي شاردة في شوارع القاهرة المزدحمة التي كادت ملامحها أن تُمحى من ذاكرتها. إنها وحيدة تمامًا، بلا أهل في مصر؛ فقد تُوفي أبوها وهي في السنة الأخيرة من الجامعة، وتُوفِّيت أمها قبل أبيها بزمن طويل، وهي طفلة صغيرة بضفائر المدرسة. لم تزر مصر منذ سنوات، فلم يكن لها غير مريم فيها، والأخيرة كانت تهوى السفر بشدة، فكانت تزورها ليجوبا سويًّا -في كل سنة- بلدًا مختلفًا.

- فاكرة... ليلى إنتي سمعاني؟

انتبهت إلى صوته الذي كان يشير إلى أحد محلات الأدوات الإلكترونية، الذي ابتاعوا منه في الماضي مكونات مشروع الجامعة الصعب، ابتسمت ليلى وقد لاح طيف مريم وهي تسير بجوارهما، ويحمل كل منهم حقيبة

من البلاستيك عليها اسم هذا المتجر المعروف لكل طلاب كلية الهندسة، تمتلئ بقطع المقاومات الصغيرة التي تُسْتخدَم في بناء الدوائر الكهربائية المختلفة.

- أكيد فاكراه، دي كانت أيام! إحنا اتمرمطنا في الكلية دي مرمطة.

ضحك مازن وهو يتذكر سهر الليالي ومحاضرات «الوصفية» وبدت هذه الذكريات بعيدة، هو الآن في الثانية والأربعين من عمره، كانت مريم أصغرهم ومن بعدها ليلى، فقد أوشكت مريم على دخول عقدها الرابع في حين كانت ليلى قد بلغت الأربعين منذ عدة أشهر.

- مازن، اقف هنا لو سمحت.

تعجب للغاية؛ فقد تبقى على بناية مريم عدة شوارع، فلماذا يتوقف هنا؟! إلا أنها أشارت إلى مبنى قديم نسبيًّا، كان أحد البيوت القليلة القديمة في المنطقة، مبنى من ثلاثة أدوار، على خلاف كل البنايات الحديثة التي تحيط به.

- هنا، جنب البيت ده؟

- أيوه لو سمحت.

هز رأسه موافقًا بقلة حيلة وقام بإيقاف السيارة، ترجلت منها بمفردها، وبقي هو يتابعها بعينيه، دارت حول البناية وهي تنادي بصوت مسموع:

- عم سعيد.. يا عم سعيد.

رأى رجلًا عجوزًا يبدو كحارس العقار، وقد تهللت أسارير وجهه وهو ينظر اليها ويربّت على كتفها، ردَّت عليه بابتسامة ترحاب حقيقة، نادرًا ما تظهر على وجهها الجليدي. وقفت لعدة دقائق تتكلم معه، ثم

غـاب العجـوز لبرهـة، وقفـت خلالهـا تنظـر إلى حوائـط البيـت ببعـض الأسى، حتـى عـاد العجـوز مـرة أخـرى حامـلًا في يـده حقيبـة صغـيرة سـوداء تبـدو كحقيبـة حاسـب محمـول، أعطاهـا لهـا، فأنقدتـه بدورهـا بعـض المـال الـذي تـردد بشـدة أن يأخـذه، إلا أنهـا ربتـت عـلى كتفـه مشـجعة، ثـم اسـتقرت مـرة أخـرى بجـوار مـازن في السـيارة دون أن تـشرح لـه شـيئًا، فتنهـد وهـو يقـول لنفسـه: «ليـس مـن شـأنه أن يتدخـل فيـما لا تريـد منـه التدخـل فيـه، عليـه أن يرافقهـا إلى منزلهـا الجديـد ثـم يعـود إلى حياتـه برتابتهـا المعتـادة» إلا أن عينيـه التقطتـا الاسـم الـذي حُفِـرَ عـلى الحقيبـة السـوداء التـي تحتضنهـا، وقـرأه بوضـوح: «مريـم الحـاوي»!